

الزراع واصناف الاغراس على جانبيها ألا أن الشمس اشتدت علينا بعد حين وقاسينا من التعب والكلال ما لا يعلمه إلا الله حتى ادركننا المذلة ونحن على رَمَقٍ فلما برَدنا غليلنا واسترحنا من عاننا المعنى زرتا البلدة واسواقها وآثارها وقد لقينا أنها تشبه في بنائها وهندستها ومساجدها الحسنة ومنازلها العالية مدينة دمياط وإن كان نهرها المعروف بالبحر الصغير دون روعة دمياط اتساعاً إلا أنها تغلب دمياط بفضارتها وبهجة حدائقها وبُسوق اشجارها

ومما تذكرنا من اخبارها ما جرى للجنرال بونيرت فيها لما حاول فتحها فردّه حسن طوبار شيخها البطل ولم يزل يدافع عن وطنه تارةً له وتارةً عليه حتى قبض عليه وأسر في القاهرة ثم اطلق الجنرال كلاير سراحه فصاد الى المذلة ومات فيها في حزيران من سنة ١٨٠٠

وكان وصولنا في مساء ذلك النهار الى بورت سعيد شاكرين المولى على ما رأيناه في هذه الرحلة من مآثر الاقدمين. لكننا اسفنا على أن الوقت لم يسمح لنا بزيارة جزيرتي طونة وتيس فاجلنا زيارتهما لمرة أخرى

ذكر الإبطال في حرب الترنسفال

للشباب الاديب اسكندر افندي طنجي

كنتُ عند ورودي الى جنوبي افريقية ولما بزيارة الاماكن التي جرت فيها المواقع بين الجنود الانكليزية والبوير. وكنتُ اتردد على الجنود الانكليز واعجب بما ارى على صدورهم من القدر المتمددة الالوان دلالة على ثباتهم في تلك الحرب العوان وقصدت مرة الذهاب الى كولسبرغ لزيارة المدينة وموقع القتال الذي انتشب ثمت بين الامتين فاتفق سفري مع احد الضباط الذي حضر المعركة المذكورة بصفة ضابط في المدفعية فبعد ان ركبنا القطار واخذنا نتجاذب اطراف الاماكن سألته عن رأيه في القائد « دي وت » قال : ان هذا القائد البويري يضارع اسكندر الكبير وتابليون وانيال بدرايته وحذقه ومهارته في الامور الحربية ثم اخذ يقص عليّ هذا الخبر فقال :

بعد فتح جوهنسبرر ودخول جنودنا اليها . ظفرة أمرت بالذهاب اليها فدخلتها مع
 فرقتي واذهي في اضطراب عظيم وفاق ليس له . شيل والجنود من مدفعين ومشاة
 ورماة واكوسيين وايرلنديين ومستعمرين يتجولون في شوارعها . وبعد ان استرحت
 من مشقة الطريق دعاني احد اصحابي الى حانة لشرب كأس من الويسكي فاجبت
 دعوته . وقد وجدنا في الحانة نحو عشرين ضابطاً كلهم بالبرأت الرسمية وعلى الباب
 كثير من الخيل الملجبة بحرسها الغلمان . فما كدنا ندخل الا وتقدم الينا احد الضباط
 وكان ذا لحية خفيفة فكلنا بانكليزية فصيحة قائلاً : « يقولون ان دي وت بالمدينة »
 فاخذ صاحبي يقهقه ويقول اني اول البارحة بعد معركة يسيرة تركت دي وت على مسافة
 الف ميل من هنا . فاجابه الضابط المذكور : « لقد اصبحت لأنني انا كذلك اعهد انه في
 الجبال الغربية »

ثم سألتنا ان نشرب قليلاً من الويسكي وامر القلام ان يقدم اقداحاً لبقية الضباط
 وبعد ما شربوا اخذوا يتجادبون الحديث وطلق ذلك الضابط المجهول يتكلم عن
 معسكر دي وت ويستقصي كذلك القول عن المعسكر الانكليزي وبعد ان اكل رشف
 قدحه قال لصاحبي : « اذا توكد ان دي وت ما قدر يدخل المدينة » فاجابه صاحبي
 على الفور : نعم اني على يقين من انه لم يدخلها . ثم انه ناول صاحب الحانة قطعة من
 الذهب عليها صورة الماكة وبعد ان سلم علينا السلام العسكري امتطى صهوة جواد
 اسود من اطايب الخيل واخذ يتهب به الارض نهباً فحنانه ذاهباً الى فرقته فذكرناه وشأه
 والتهينا عنه بالحديث

ولكن لم يمض علينا بضع دقائق حتى رأينا القبطان . . . قادماً مذعوراً ووجهه احمر
 كالدم والرق ينضح من جبينه فدخل الحانة واخذ يتفقد كل جوانبها فضحك الضباط
 من هينته وقال له احدهم : « كأنني بك تطلب دي وت بينا »
 فاجابه : اجل او ما رأيتم ضابطاً اسمر اللون لابساً بزة ملازم وراكباً جواداً اسود ضخماً
 قالوا : نعم رأيناه وقد كان هنا من مدة وجيزة

— واين ذهب ؟

— مر من هذا الشارع

— هذا هو دي وت بعينه

فحينئذ اخذ منّا الاضطراب مأخذه وقام الحضور في الحانة المذكورة وخرج الكل الى خارج عليهم يجدونه لكننا طلبنا اثرًا بعد عين وعضضنا الاثامل ندمًا على فراره.
قال الراوي : فخرجتُ من هناك وانا افسرُ في ذلك القائد البطل وقلت : هكذا تكون محبة الوطن وشهامة الفرسان والآ فلا

ولنعد الآن الى سياق الحديث فلما وصلنا كولسبرغ غادرنا القطار ومشينا قليلًا حتى اذا وصلنا الى محل الواقعة قال لي رفيقي : هذه ساحة الوغى فشخصتُ ببصري نحو المكان فاذا هو وهاد خضرة وسهل فسيح ووادٍ بعيد فيه بعض اشجار وكنت ارى غابات مقطوعة او محروقة ويبرئنا مهدومة وبنادق وسلاحًا مكسورة كما كنت اطالع في التواريخ عن مواقع القتال

وكانت تخيلتي تصور لي الواقعة كافي احضرها. وبقيتُ مليًا هذه التفكرات تجول في خاطري حتى جذبني رفيقي وقال : « هناك كنا واقفين ». وارانني جُبيلًا مكللًا ببعض ايكاس مملوءة رملًا ثم اُردف : « نعم كنا هنا وراء هذه المتاريس وكانت البوير قرب الجهة الشمالية على هذا الجبل الذي توهم العين انه على بعد خمسمائة متر وهو في الحقيقة على بعد كيلومترين وكنا محتبئين وراء هذا الجبل نطلق المدافع فكانت الطلقات تذهب كلها خطأ لأننا كنا لا نحسن قياس المسافة وما درينا بذلك الا بعد خامس طلقة فصرنا نطلق المدافع على بعد الف وخمسمائة متر بدل الخمسمائة وذلك لعمرى فرق يُذكر » فسألته حينئذ : وهل كان يخطئ البوير كذلك . قال : « كلاً لأنهم معتادون طرق بلادهم . وبينما كنا نبذل الجهد لكي نضربكم طلاقتنا كان رصاصهم يضرب الحجارة التي كنا وراءها وبعضها كانت تحرقه قوة الرصاص فتطيره شعاعاً علينا وكان احد الجاويشية يقربني وراء صخر فيه شق متطاوّل فدخلت رصاصة من الشق اليه قتلته لساعته ورفع آخر رأسه من فوق المتاريس فوق وقع للحال مضرّجاً بدمه وأما انا فان رصاصة اصابتني باعلى قبعتي فاطارتها . وكان الضابط يحكي كل هذا برزانة كأنه يروي لي سيفراً من أساطير الاولين

- وهل قتل منكم خلق كثير ؟

- اكثر القتلى بين المدفعيين فأنهم كانوا اذا اطلقوا طلقة واحدة جاوبهم مطر من الرصاص يستط على المحل الذي خرجت منه الطلقة . وبعد ان دفعنا البوير

امامنا من جبل الى جبل رأينا ان طقاتهم تخفُ قليلاً قليلاً فـا وصلنا الى محلهم حتى رأينا به بلقماً ليس فيه غير بعض اسلحة محطمة ألقاها البوير عنهم قبل فرارهم ولم نزلهم اثرًا في الجبال الموازية لنا ولكنهم خسروا كثيرين منهم . ألا ترى هذه الوهدة المغطى اكثرها بالحجارة الضخمة والتراب ؟ هناك دفنوا قتلاهم

— هلمّ معي فاني ارجب في زيارة القبور

— نعم ولكن تعال اولاً وانظر قبور جنودنا

فذهبنا الى محل مُحاط باسلاك من الحديد وفي الوسط ثلاثة قبور كبار والى جانبها قبور صغار متلاصقة مصفوفة كالمسكر اوان الاستعراض

قال : « فالثلاثة القبور الكبار هي قبور الجنود فانهم كانوا يجمعون جثثهم في حفرة واحدة وييلون عليهم التراب واماً الرموس الصغار فهي رموس الضباط »

فجثوت حينئذٍ راكمًا وصليت لراحة تلك الانفس صلاة وبخيرة واماً رفيقي فانه وقف وقفة الجندي بلا سلاح ورفع قبعته واطرق في الارض

ثم بدون لفظ كلمة ذهبنا الى قبور البوير فاستدلنا من قلّة هندستها انّها حُفرت على عجل . وهناك كذلك رفع الضابط الانكليزي قبعته وقدمتُ لله صلاة حارة لاجل اولئك الابطال الراقدين هناك وقفلنا راجعين الى حيث اتينا

يَمِينُ الْعَلِيّ

رواية تاريخية للاب س . ت السويعي (تابع)

الفصل الثامن خبة الآمال

كانت الشمس كشفت جلبابها اذ دخلت الأمة العجوز دوروتيا مخدع سيدها وهي تطأ الارض همساً ثم عكمت السجوف وفتحت النوافذ فارسلت الغزالة بانوارها واضاءت المكان فسطعت آنية الحجره وشعّ فولاذ دمشق وبُور صيدا . وأبنوس الهند وكانت يهوديت غائصة في بحر النوم في سرير بديع النقش تستر وجهها كلّهُ